# المجلس الرابع

من دورة

# فن التدبر

للدكتور أبي بكر القاضي

www.abobakrelkady.net

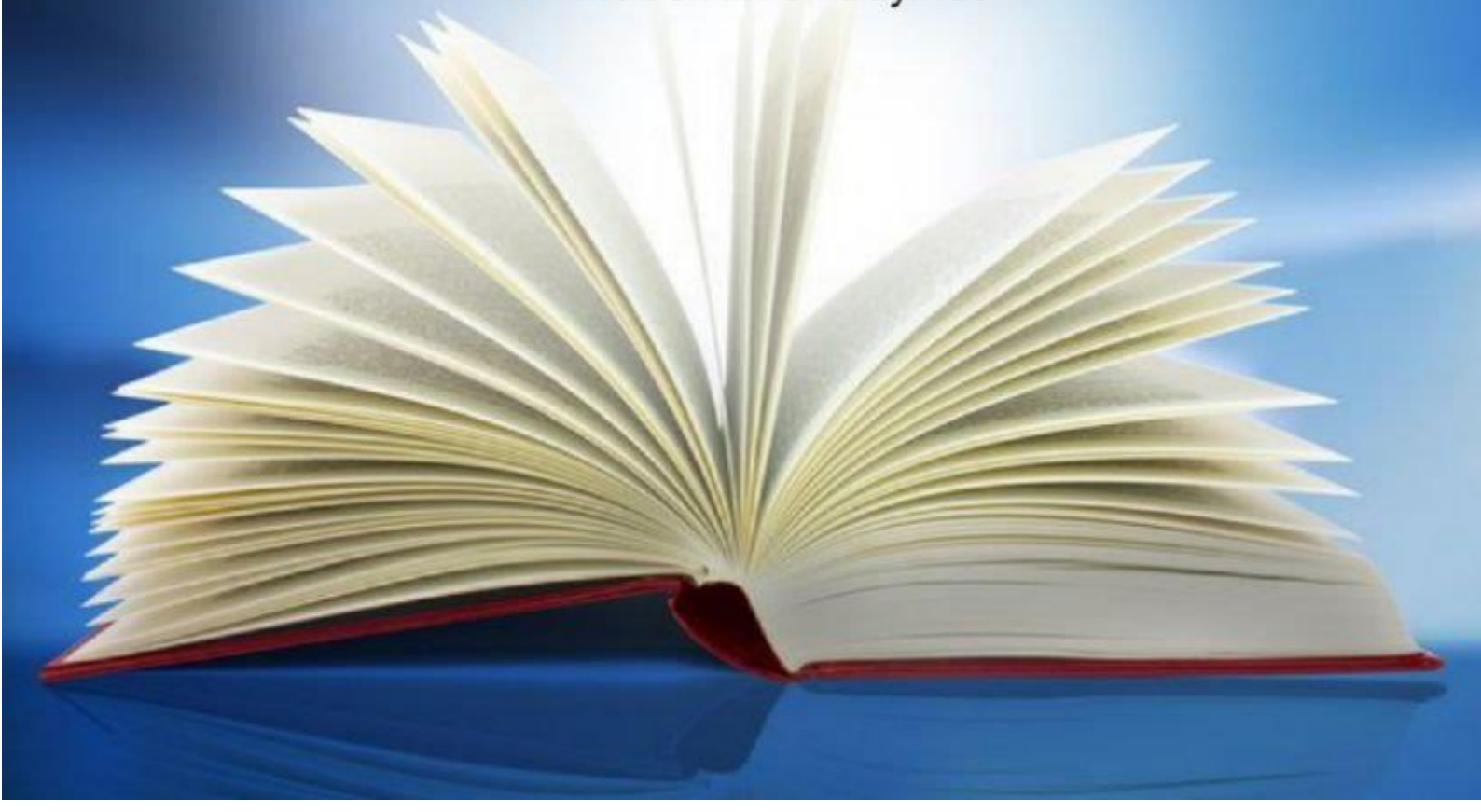

## المجلس الرابع

المقصود أن الفطرة هي الإسلام، والاستسلام لأحكام الله عز وجل، وهي كامِنةٌ في نفس الإنسان؛ فإذا اكتمل له العقل فيمكنك بمنتهى البساطة أن تقول له بأن الله واحد، والله هو الذي خلقنا وهو قادر، والله سوف يحاسبنا وهو قادر، وتستطيع أن تتعمق في أسرار هذه الفطرة وتعيد برمجتها إلى وضعها الصحيح.

وهذه الفطرة أثر من آثار الميثاق الأول الذي أخذه الله علينا ونحن في عالم الذَّر، قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ}[الأعراف:١٧٢].

لذلك عندما سمع جُبير بن مُطْعِم قول الله عزوجل:
}أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} {الطور:٣٥-٣٧}
ماذا فعلت به هذه الآيات ؟! وماذا أيقظت فيه؟!
أيقظت الفِطرة؛ من أجل ذلك كاد قلبه أنْ يطير من شدّة الفرح.

قال: وجاء عن السلف مثل ذلك في أوّل سماعٍ بالقلب للقرآن.
فعن يوسف البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب، والجنائب، والبزاة، فبينا إبراهيم يومًا في الصيد على فرسه يُركّضُه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث؟
{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}{المؤمنون:١١٥}
اتقِ الله، وعليك بالزاد ليوم الفاقة فنزل عن دابته، وأخذ في عمل الآخرة.

هذا الذي يسميه أهل العلم (اليقظة): وهو انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين.

تصيبه صدمة فينزعج، يموت له حبيب، أو صديق، أو قريب، يُصاب بمرض تكاد تَزهق روحه منه، ثمّ ترجع له مرة أخرى.
ويتساءل هل من الممكن أن أموت بهذه السهولة؟!
ينزعج القلب، فيفيق من غفلته.

يفيق من روعة الإنتباه، روعة يعني: الخوف من رقدة الغافلين.
كأنك تستيقظ من نومك مفزوع على صوت شخص يقول لك
أفق أفق من نومك.
فتسأله عما حدث؟
فيخبرك بأن فلانا قد مات فتنزعج لذلك كثيرا

وهذا هو روعة الإنتباه: القلب يكون مُنزعج لدرجة أنه من الممكن أن القلب لايُصدق؛ وكثير من الناس الذين تعرضوا لاضطراب ما بعد الصدمة، بحيث بعد تعرضهم لصدمة لا يصدقون ويتساءلون ماذا حصل ؟!

قلبه مُنزعج لدرجة أنه قد يلجأ لحيلة تجعله ينكر ما حدث، وهذا نوع من أنواع الإنزعاج، أن هذا الشيء مزعج جداً.

لذا ينبغي على الإنسان أن يحرص ويحافظ على يقظة قلبه؛ كي لا ينام نوما عميقًا فلا يستيقظ إلا على فزع شديد.

كقول ابن القيم-رحمه الله-:"لابُدَّ مِن سِنَةِ الغفلة، ورقادِ الهوىٰ، ولٰكِنْ كُن خفيف النَّوم."

يقول: كثرة تكرار لفظ القلب في القرآن، وهنا ما يزال يستدل على أهمية القلب.

قال: بل أُسندَ إليه في الآيات ما لم يُسند إلى غيره من الجوارح:
لفظ القلب، والفؤاد، والصَّدر في القرآن تكرر كثيرًا، وأُسندَ إليه في تلك الآيات ما لم يُسند إلى غيره من الجوارح؛ وقد وقفتُ - ولم استقصِ -على أربعين وصفاً أسندَه القرآن إلى القلب، وهي أوصاف جليلة الأثر جدًّا، أسوقها من أجل أمرا واحدٍ فقط، وهو أن الوقوف عليها مجتمعة يُوقظ الفؤاد لهذا الأمر الجلل، وأذكر شاهداً واحداً من القرآن .

قال: فمن هذه الأوصاف:
١- وصف التقوى ومحلها القلب، قال تعالى:
}ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ{}٣٢:الحج{

٢- الخشوع قال تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }{١٦:الحديد}.

٣- الهداية قال تعالى: { وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}
{١١:التغابن}.

٤- الرأفة والرحمة قال تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً} {٢٧: الحديد}.

٥- الألفة قال تعالى:{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }{٦٣: الأنفال}

٦- الانشراح قال تعالى:{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ}
{٢٢: الزمر}.

٧- السلامة قال تعالى:{إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}{٨٩: الشُعراء}.

٨- الإنابة قال تعالى:{ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ}{٣٣: ق}.

٩- الطهارة قال تعالى:{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ }{٤١:المائدة}

١٠- الربط قال تعالى: { وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ}{١١:الأنفال}.

١١- العقل قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}{٤٦: الحج}.

١٢- الاطمئنان قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } {٢٨: الرعد}.

١٣- الإخبات قال تعالى: { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ}{٥٤:الحج}.

١٤- تزيين الإيمان قال تعالى:{ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ} {٧:الحجرات}.

١٥- إنزال السكينة قال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ}{٤: الفتح}.

١٦- الكسب قال تعالى: { وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ }{٢٢٥: البقرة}.

١٧- الرَّان قال تعالى: {كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}{١٤:المطففين}.

١٨- الغفلة قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا :٢٨}{الكهف}.

١٩- المرض قال تعالى: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}{١٠: البقرة}.

٢٠- الختم قال تعالى:{خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}{ ٧:البقرة}.

٢١- الرُّعب قال تعالى:{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ}{١٥١: آل عمران}.

٢٢- الزيغ قال تعالى:{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }{٨: آل عمران}.

٢٣- العمى قال تعالى:{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}{٤٦:[الحج}.

٢٤- التَّقلُّب قال تعالى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} {١١٠:الأنعام}.

٢٥- الاشمئزاز قال تعالى:{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ}{٤٥: الزُمر}.

٢٦- القُفل قال تعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}{٢٤:محمد}.

٢٧- الضعف قال تعالى:{وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}{١٤: الحجرات}

٢٨- الطّبع قال تعالى:{كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} {٥٩:الروم}.

٢٩- الوَجل قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}{٢: الأنفال}.

٣٠-الرَّيب قال تعالى:{ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}{٤٥:التوبة}.

٣١- القسوة قال تعالى:{ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ}{٤٣:الأنعام}.

٣٢- الغيظ قال تعالى:{ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ}{١٥:التوبة}.

٣٣- اللهو قال تعالى: { لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}{٣: الأنبياء}.

٣٤- الكفر قال تعالى: { وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا{
{١٠٦:النحل}.

٣٥- النفاق قال تعالى:{ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ}{٧٧:التوبة}.

٣٦- الغِل قال تعالى:{ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ{
{٤٧:الحجر}.

٣٧- الكِبر قال تعالى:{ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ}{٥٦:غافر}.

٣٨- الوسوسة قال تعالى:{ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ }{٥: الناس}.

٣٩- الحسرة قال تعالى: { لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِم}{١٥٦: آل عمران}

٤٠- عدم الفقه قال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا{
{١٧٩:الأعراف}

أرأيت كل هذا في القلب؟!

لأن القلب هو أهم شيء في حياتك.

يفقه، ويعقل، ويعلم، ويحب، ويبغض، ويخاف، ويرجو، ويربط عليه، ويزيغ، ويغل، ويحسد، ويتحسر، وينسى.

قال أحد السلف: " ليت أحدنا يهتم بقلبه كما يهتم بنعله."

القلب ملك، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "القلب ملك والأعضاء جنود، فإذا طاب الملك طابت الجنود، وإذا خبث الملك خبثت الجنود".

هل تعامل قلبك على أنه ملك أم عبد؟!

هل تعامل قلبك على أنه ملك أم خادم عندك؟!

إن كان ملك؛ فإن أولى أولوياتك: أن تحرسه، وتطهره، و تشفيه، وأن يسلم من الآفات هذا هو القلب السليم.

قال تعالى:{ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}

{٨٨،٨٩: الشعراء}.

القلب السليم: هو كل قلب سلم من كل شيء سوى الله، سلم من الشبه والشهوة، سلم من كل شرك يناقض التَّوحيد، من كل بدعة تناقض السُنَّة، من كل هوى يناقض التَّجرد، من كل غفلة تناقض الذّكر، من كل شهوة تناقض الإخلاص.

يقول: يا أخا القرآن: هذه أربعون وصفًا، أربعةٌ منها تكفي لمن كان له قلب، أو ألقى السّمع وهو شهيد، فكرّر النظر فيها -ثانية وثالثة-، وتفكر في هذا الارتباط

الوثيق والميثاق الغليظ بين القرآن والقلب، ثمّ تأمل في أثر ذلك على قلبك، ومن ثمّ على جوارحك .

قال: إنَّ أعظم أثرٍ للقرآن إنَّما هو في القلب:
فأعظم ما يُحدثه الإقبال على القرآن هو حياة القلب وصلاحه، وأعظم داءٍ يُصاب به المُعرض عن القرآن هو موت القلب وقسوته، ولذا قُصرت الذكرى على من كان له قلب، أو اجتهد في إحضار قلبه.

إذًا الذي يفقد قلبه ماذا عليه أن يفعل؟
أن يجعل هدفه الأول( أن يكون له قلب )، ومن ثمّ يشتغل على إحضارهذا القلب.

قال تعالى:{ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ}{٣٧: ق}.

إذا عجزت عن إحضار قلبك، فأنصت وانتظر حتى تأتيك المصائب:
من صدمات كهربائية، و إنعاش، وعناية مركزة؛ حتى تفيق من غفلتك.

- كشخص ليس له هدف، فكان أول هدف بالنسبة له أن يكون له هدف.
- شخص لا يصلي نقول له: أول هدف ينبغي عليك أن تفعله قبل التوبة من أي كبيرة هو أن تصلي، هذا هو هدفك الأول، وهذا من (فقه الأولويات).
- شخص يشتكي من فقدان قلبه يقول:

أنا لا أشعر بشيء، مشاعري ميتة، لا أشعر بأم، ولا ابن، ولا زوج، ولا أولاد، ولا صلاة، ولا حياة، ولا لذة.

ما الذي حدث معه؟!
قلبه مات، وأول هدف يجب عليه أن يحققه هو إحضار قلبه.

القلب محتاج لصدمات كهربائية كي يفيق.

ما هي هذه الصدمات؟

١- ذكرالموت، قال النبي-ﷺ-:(أكثروا من ذكْرِ هادمِ اللذّاتِ)الترمذي

٢- زيارة القبور، قال النبي-ﷺ-:(فزوروا القبورَ؛ فإنَّها تُذَكِّرُكم الموتَ) مسلم.

٣- عيادة المرضى.

٤- المسح على رأس اليتيم.

٥- إطعام المسكين.

٦- كثرة ذكر الله، وكثرة قراءة القرآن حتى وإن لم تفهم مع أن الفهم واضح، ونحن هنا نتكلم عن تدبر القلب .

في بداية الأمر ستجد الأمر مُستغلِق عليك؛ بسبب وجود الأقفال، ولأنك تماديت في غفلتك حتى أصبح ران على قلبك ومن ثمّ تحول إلى طبع وقفل، كأنه جدارأسمنتي يحتاج منك أن تكسره وتصبر على ذلك؛ لأنك أنت من بنيته.

قال: فقد نبَّه سبحانه على عظم أثر الإعراض عن القرآن، وأن ذلك يحْرِمُ القلبَ من أنوار الوحي، فقال تعالى:

} أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ {[٢٤:محمد].

وقال الإمام عبد الأعلى التميمي في قوله تعالى:

}قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا {[١٠٧:الإسراء].

قال: إن من أوتي من العلم ما لايبكيه لخليق أن قد أوتي من العلم ما لا ينفعه؛ لأن الله نعت أهل العلم فقال:{يَخِرّونَ لِلأَذقانِ سُجَّدًا} وسجود القلب قبل سجود البدن .

قيل لوهب بن منبه: أو يسجد القلب؟
قال: إي والله سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء.

إذا سجد قلبك لله....بذلك يكون انتهى الموضوع؛ لأنه يكون بالفعل قد وصل القلب إلى حالة المشاهدة، والحضور، والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، ورسخت على ذلك فلا تتزحزح، ولا تتردد، ولا تتلعثم، ولا تتلون حتى تلقى الله .

قال تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}{٩٩:الحجر}.

ما هو سجود القلب؟!
هو تمكن الدين منك: فاختلط بشحمك، ولحمك، وأعصابك ووجدانك، بحيث لا تُحرك ساكنًا ولا تُسكن مُتحركًا إلا تحت شعار العبودية لله، وأن يكون ذلك برضاك وليس مجبورًا عليه، أي: لا توجد نزاعات في نفسك.

بخلاف شخص آخر قد يكون مُلتزم بالصلوات، والأذكار، والأوراد، ولكنه يجاهد نزاعات نفسه.

قال أحد السلف: "جاهدت شهوتي حتى أصبحت شهوتي مجاهدة"
أي شيء تشتهيه نفسه يخالفها، وصل إلى مرحلة أنه لا يتصور الحياة من غير مُستحبات وليس من غير الواجبات.

لا يتخيل أن يمُر يومه من غير أذكار الصباح والمساء، والورد القرآني، واثنتا عشر ركعة، وإحدى عشر ركعة قيام.

تخيل هذا حاله في التطوع ما بالك كيف يكون حاله في أداء الصلوات الخمس؟
إذًا الموضوع بالنسبة له علاقة حب بينه وبين الله، وليست مجرد تكاليف شرعية.

لذا الإنسان يبدأ طريقه إلى الله حاملًا وينتهي محمولًا، أي: أنه من أول الطريق يكون حامل يسقط ثمّ يقوم، يجاهد ويجاهد حتى يصبح محمولًا، قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}{٦٩: العنكبوت}.
فإذا استمر على مجاهدة نفسه رسخت عادات الخير في وجدانه. قالت حفصة بنت سيرين: "تعودوا الخير فإن الخير عادة."

إذا أراد أحد منّا أن يتعلم قيادة السيارات يكون الأمر في بدايته صعب عليه، فتجده يقود السيارة وهو متوتر جدًا لاتستطيع أن تتحدث معه، أو تُعطيه شيئًا وكل هذا؛ لأنه لم يتقن ويتعود على قيادة السيارات، ولم تكتمل وتترسخ هذه العادة في عقله اللاوعي، أو تتخزن في ذاكرته البعيدة، لذا لم تنعكس على أدائه فيكون الموضوع صعب عليه.
ولكن عندما يتعلم ويتعود على قيادة السيارات وتصبح لديه عادة تجده يقود السيارة بمُنتهى الأريحية وهو يتكلم بالهاتف، ومن الممكن أن تجده يأكل طعامًا.

ما الذي حدث؟!
أصبح هذا الأمر عنده عادة متمكن من أدائها، راسخ فيها، يمارسها بمنتهى السهولة.

وهكذا في أمر العبادة تصبح بعد المجاهدة عادة سهلة، فتؤذيها بمنتهى السهولة لكن عليك أن تستشعر أنها من إعانة الله وتوفيقه، حتى لا تغتر في نفسك فيسقط؛ لأنها عبادة غالية لايعطيها الله إلا لمن يحب، وأحبها إلى الله أدومها وإن قل.
قال النبي-ﷺ-:(أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْومُها و إن قَلَّ)البخاري.

فهذه العبادة هدية من الله، لذا ينبغي عليك أن تستشعر أنها أصبحت عادة بتوفيق من الله وإعانته حينئذٍ يتحول الدين بالنسبة لك إلى حالة وجدانية قوية تستشعر بالحاجة إليها، والسعادة والطمأنينة بها، لأجل ذلك قال الله عزوجل في الحديث القدسي: (فمَن وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ، فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ) مسلم.

فإن أعرضت، أو ظلمت نفسك فهذا لن يعود على الله، ولا على الناس بشيء.
قال تعالى:{وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}{٥٧:البقرة}.
قال تعالى:{مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا}{٥٦:فصلت}
قال تعالى:{وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}{٤٤: الروم}

أنت تمهد لنفسك: فابنِ نجاحك، ومجدك، و درجاتك في الجنة، فعليك الاختيار: إما أن تعمل، وإما أن تنام فاختر ماشئت.
قال علي -رضي الله عنه-:
"إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ"

قال: عن ابن مسعود قال: إنَّ هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره.

قال الحسن بقوله تعالى:{بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ}{٤٩: العنكبوت}.

فقال: {بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ} هو القرآن.
{ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ} يعني المؤمنين.

قال ابن كثير: لأنه محفوظ في الصدور، مُيسر على الألسنة، مُهيمن على القلوب، مُعجز لفظًا ومعنى.

قال الحسن: العلم علمان:
١- علم في القلب، فذلك العلم النافع.
٢- وعلم على اللسان فتلك حجة الله على خلقه.
فليس العلم ولا الإيمان عندهم بكثرة القراءة، بل بخشوع القلب وخشيته.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله -ﷺ-:
"التَّقْوَى هَاهُنَا ،وأَشَار إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرّات."

والنصوص في ذلك كثيرة، لكني أذكر بعض البيان العملي- أي: البيان العلمي في مسألة الاهتمام بالقلب ورعاية القلب- من الرسول-ﷺ- ثم بعض أتباعه - رضي الله عنهم-:

◆في السنن عن عبدالله بن الشَّخيرقال:
)رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصَلِّي وفي صدرِه أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرجَل مِنَ البُكاءِ(
صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: إسناده قوي.
وثبت عن أحمد والنسائي والحاكم وصححاه وقال البوصيري:
هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه ابن القيم من حديث أبي ذر -رضي الله عنه-: أن النبي-ﷺ- قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله عز وجل: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}{١١٨: المائدة}.

◆وفي الدر المنثور عند تفسير قوله تعالى:
}أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ} {٥٠:الأعراف}
عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- شرب ماء باردًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله
قال تعالى:{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}{٥٤: سبأ}

فعرفت أن أهل النار لايشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله عزوجل: {أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ.}

ماذا هذا الذي حدث مع عبد الله بن عمر؟!
إنه التَّدبر العملي، والتَّدبر الوجداني، والتَّدبر القلبي في الإيمان بعد فهم المعنى الذهني.

◆وفي صِفة الصفوة: عن سعد بن زنبور قال: كنا على باب الفضيل بن عياض، فاستأذنا عليه فلم يأذن لنا، فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن وكان صيّتًا فقلنا
له: إقرأ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}{١:التكاثر}.
ورفع بها صوته، فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جِزتُها ....فماذا أُؤمّل أو أنتظرْ؟
أُتي لي ثمانونَ من مولدي..... وبعدَ الثمانين ما يُنتظَرْ؟
علتني السنونَ فأبليـنـي....

فأبليني، يعني: من البلاء.

قال: ثم خنقته العبرة، وكان معنا على بن خَشْرَم فأتمه لنا فقال:
علتني السنونَ فأبليني... فرقّت عظامي وكلَّ البصر.

قال تعالى:{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}
{٥٤:الروم}.

مرور الأيام و الليالي أعظم آية من الآيات التي يتأثر بها المؤمن، في أنه راحل، وأن أيامه معدودات وأنفاسه معدودات.

لذلك قال الله تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}{١٩٠:آل عمران}.

ولذا المؤمن له حال مع الأيام، من أجل ذلك النوع الثالث من أنواع اليقظة، أول منزلة من مدارج السالكين:
النوع الثالث منها: مطالعة الزيادة والنقصان من الأيام.

عندما تسأل شخص عن عمره؟
يرد عليك قائلًا وهو سعيد: ثلاثون عامًا، أو أربعون عامًا، ويسألك لِمَ لمْ تُهنّئني بعيد ميلادي؟!
أنت سعيد بعيد ميلادك يا أحمق!
أنت تقترب إلى القبر، - بغض النظر عن الاحتفال بعيد الميلاد بدعة وفيه تشبه بالكفار-، أنت تقترب من القبر هل أنت عاقل؟
المفروض أن تقول هذا الرقم وأنت تعتصر من الألم، هذه ليست مجرد أرقام، وإنما هو رصيدك الحقيقي عند الله.

اسأل نفسك:
- ماذا قدمت لنفسي؟
- ماذا قدمت للآخرة؟!
- ماذا قدمت لدين الله؟

الصادق: يشعر بالتقصير والألم، يشعر أنه لم يفعل شيء، لم يكن له بصمة، لم يكن له هدف، لم يكن له رسالة حقيقية.

طبعًا الرقم الحقيقي للسن: هو السن في الإسلام وليس في الكفر.

"يوسف إستس" اعتنق الإسلام وعمره حوالي 50 عام، وقد مر20 عامًا على إسلامه، وهو يقول: "أنا عمري عشرين عامًا".

لماذا استثنى السنوات السابقة؟
لأن السنوات التي عاشها وهو كافر ليست محسوبة.

الصحابي الجليل سعد بن معاذ -رضي الله عنه- كانت مدة إسلامه ست سنوات، لكن ما الذي حدث عند موته؟
الذي حدث ليس حدثًا كونيًا هائلًا؛ بل هو حدث أكبر من الأكوان والوجود، أكبر من العالمية والكونية، والجوائز العالمية.
أكبر من الشهرة والمجد وكل هذا.
أكبر من الكرة الأرضية، والمجموعة الشمسية، والمجرات كلها.
لقد اهتز لموته عرش الرحمن، اهتز فرحًا بقدوم روحه.

تخيل كل هذا حدث له وعمره الحقيقي في الإسلام ست سنوات فقط!
وأنت لغاية الآن لم تؤثر في صديقك وجعلته يصلي، لم تؤثر في نفسك، وأهلك، ومنطقتك، مازلت تتأرجح بين الذنب والاستقامة.
وبعد هذا تسعد بأن عمرك 30 عامًا، 40 عامًا، 50عامًا!

قال الفضيل بن عياض لرجل: "كم عمرك؟ فقال الرجل: ستون سنة، قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله تُوشِك أن تَصِل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.....
فبكى الرجل، وقال: يا فضيل! وما الحيلة؟ قال الفضيل : يسيرة، قال: ما هي يرحمك الله؟ قال الفضيل: هي أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

واعلم أن الذي مضى كانت قوتك كلها.
الذي مضى هو الشباب، العنفوان، التركيز، القوة الذهنية.
قال النبي-ﷺ-: (لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ....وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ) الترمذي.

أنا لا أريدك أن تُحبط من كلامي وتيأس، ولكن أردت أن ألفت نظرك أنك بحاجة لزيادة جرعات من الندم؛ لكي تغسل خطايا الشباب.

قال تعالى:{لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}{١١٠:التوبة}.

أنت بحاجة إلى أن تغسل قلبك من النفاق، وأن يتقطع قلبك ندم وحسرة على مافات: من ضياع الفرص والأوقات التي كنت تقضيها على الكرة، والألعاب والتطبيقات الإلكترونية، والغيبة، والنميمة، والفحش، والتفحش، والنكت.

اِنْتَبه هذا الذي تضيعه و تهدره هو رأس مالك الحقيقي، فلا تكن كالمجنون الذي يمتلك الأموال ويُلقي بها في الشارع دون وعي.

أغلب الناس لاتعطي أهمية بالغة في تعاملها مع الأوقات، وتعاملها مع العمر، وتعاملها مع فرص الحياة، وتعاملها مع فرص الاستقامة، وتعاملها مع آيات الله الشرعية والكونية والتكوينية.

وهكذا تمر الأيام، والسنين، والأنفاس، وأنت غير مُدرك هذا الأمر، فيقدر الله عليك الابتلاءات، والصدمات، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات...

كي ترجع، وتفهم، وتستعد للقائه.
كي لا تركن لدنّيا ولا تطمئن إليها.
كي تعمل، وتمتنع عن الحرام، وتبادر، وتسرع، وتثابر.

كي تعلم أن السباق كبير، وأنت مسبوق بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

سارع لم يتبقى وقت كثير، وأعظم وقود وزاد لهذه المسابقة والمسارعة، وهذا الاهتمام، وهذه المبادرة هو:

القرآن أقصر الطرق إلى الله.

قال خبّاب بن الأرت: "تقرب إلى الله بما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بشيء هو أحب إليه من كلامه."

قال أهل السلف: "مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ"

احذروا ليلة يُسْرَى فيها على كتاب الله فُيصبح الناس يفتحون المصاحف لا يجدون آية من كتاب الله، يرفع الله هذا القرآن من على الأرض حين لا يستحق البشر وجود القرآن بين أظْهُرِهِم.

تخيل أن تكون حياة، ووجود، وكون، وأحداث من غير قرآن
كيف يكون حال الناس؟!
سيكون الناس كالهمج الهامج، يتهارشون تهارُش الحُمُر؛ فإذا كان ذلك قامت الساعة.

هذا أذان زوال العالم، ونهاية العالم، وهذا مُزامن لهدم الكعبة على يد "ذي السويقتين" الحبشي يهدُمها حجراً حجراً.

جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً لّلنّاس؛ فإن هُدمت الكعبة هُدمت دُنياهم ودِينهم؛ ولم يبقى إلا شِرار الخلق وعليهم تقوم الساعة يعبدون اللات والعُزى، ويأتون الفواحش في الطُرقات.

لذا القرآن: هو الزاد الذي تحيا به القلوب، وتدرك به الزيادة والنقصان من الأيام .

قال تعالى:{أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}{٢٠٥-٢٠٧:الشعراء}.

قال: المقصود الأعظم من تلاوة القرآن هو تدبر القلب له.
قال: الإمام السيوطي في الإتقان:
"وتُسن القراءة بالتدبروالتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنيرُ القلوب".

◆وقد أبان سبحانه وتعالى عن الحكمة من تنزيل هذا الكتاب فقال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}
{٢٩:ص}، واللام في قوله (لِّيَدَّبَّرُوا)هي لام العلة، فهو لم يكون مباركًا مباركةً تامة إلا بالتدبر.

◆وقال تعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }{٢٤: محمد}
إما التدبر أو الأقفال، وليس قِفلاً واحداً على القلب:
هما طريقان ما للمرء غيرهما..... فانظر لنفسك ماذا أنت تختار؟

◆ولذا ذم النبي-ﷺ- من قرأ بعض الآيات ولم يتفكر بقلبه قال: ويل لمن قرأها ولم يتدبرها في خواتيم سورة آل عمران.
وهذا دليل قوي على وجوب التدبر؛ ومن ثمّ وجوب تعلمه، وتعلم أدواته .

◆ وهذا ريحانة القُرَّاء من أصحاب رسول الله-ﷺ- ابن مسعود يقول عن القرآن: قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكون هَم أحدكم آخر السورة.
يعني: لا تنظر إلى الساعة بين الحين والآخر لترى ماتبقى من الوقت، وماتبقى من السورة، وما تبقى من الورد.
عِش في الورد حتى لو كان قليلًا، حتى لو بعشر آيات، أو بخمس آيات، حتى لوكانت آية، المهم أن تعيش وتحيا.

حدد وقت أفضل من أن تحدد كم، ساعة تعيشُها في آيةٍ، في حزبٍ، في وردٍ تتدبر معانيها.

المهم لاتعطي القرآن فضل وقتك، بل حدد له وقت معين، كما أن أهلك وأحبابك يقولون لك: خصص لنا وقت تجالسنا فيه، وتتحدث معنا فلنا حق فيك، وهكذا القرآن له حق فيك أن تحدد له وقت لاينازعك عليه أحد، وأنت المستفيد والرابح من قراءته.

قال: وأختم بِمُحكم من القول الإمام محمد بن حسين الأجرُي:
يقول فيه: "والقليل من الدرس للقرآن، مع الفكر فيه وتدبره أحبُ إليَّ من كثير من القرآن من غير تدبر، ولا تفكر فيه، فظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة، وأقوال المسلمين.
ولذا في مثل هذه المواقف استوقف النفس وحاسبها، وانظر في حال السلف مع القرآن".

في كتاب جميل جدًا اسمه "هكذا عاشوا مع القرآن " للدكتورة أسماء بنت راشد الرويشد.

وقال: وقارن بين الحالين، ثُمّ اختر لنفسك، وفقك الله لصلاح قلبك.
فيا أخا القرآن: إذا أردت أن تفتح صفحات هذا القرآن المجيد؛ فقبل هذا تفقد قلبك.

إذًا اجعل علم القلوب في جدولك العلمي، والفكري، واليومي، وفي جميع مجالات حياتك.

## ماهو علم القلوب؟

هو علم المعاملة مع الله من خلال القلب .

من أين نأخذ هذا العلم؟
من كتب العلماء، ومن أهم الكتب في ذلك:
"-١مختصر منهاج القاصدين" للإمام ابن قُدامة المقدسي.
٢- "مدارج السالكين شرح منازل السائرين" للإمام ابن القيم.
٣- "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" للإمام ابن القيم، من أول 100 صفحة من طب القلوب.
٤- " أمراض القلوب وشِفاؤها " لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٥- "التحفة العراقية في الأعمال القلبية" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

بعد هذه الكتب لا مانع أن تقرأ:
كتاب " البحر الرائق في الزُهد والرقائق " للدكتور أحمد فريد، و كتاب "الأعمال القلبية " للدكتور ياسر بُرهامي.

لكن في بداية الأمر خُذ كلام المتقدمين، واحفظه وافهمه، وستجد أغلب المتحدثين بما فيهم المتأخرين: من العلماء أوالدعاة أو غيرهم، ينقلون من هذا المصدر.

قال: تفقد قلبك؛ هل فتحت صفحاته هو أيضاً؟

أي: فتحت صفحات قلبك أيضاً، أم على قلوب أقفالها؟

إذًا نكون بذلك أخذنا مرحلتين من فن التدبر.
المرحلة الأولى: هي اليقين.
المرحلة الثانية: أن تعلم أن الخطاب القرآني موجه للقلب.

استغفر الله العظيم لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.